نوفمبر وديسمبر 1976:

«لا أريد أي مواجهة»

وصلت «العلاقة الخاصة» بين واشنطن وطهران إلى حافة الهاوية. سياسة هنري كيسنجر لتدليل الشاه محمد رضا بهلوي لم تُفد جيرالد فورد ولا الشاه. بل أصبح كل منهما يواجه الآن الآخر كخصم. والأسوأ من ذلك، عن طريق تأخير ما هو حتمي وما لا مفر منه، فقد عزز كيسنجر - فحسب - موقف الشاه، وترك فورد مع عدد قليل من الخيارات السياسية المؤلمة، وجميعها خيارات غير جذابة وذات مخاطر عالية. وبدأ يتنامى الشعور بأزمة قادمة. وفي أواخر نوفمبر 1976، أخبر آرثر بيرنز، رئيس الاحتياطي الفدرالي الأمريكي، فورد ونائبه روكفلر، أنه «قلق للغاية» حول إمكانية قيام أوبك بالموافقة على زيادة السعر برقم من خانتين(*)، في قمة أوبك المقررة في شهر ديسمبر المقبل في الدوحة. وتساءل إذا ما كان ينبغي على فورد أن يرأس وفدًا إلى الشرق الأوسط ليعرض قضيته ويضغط على دول أوبك لتجميد السعر؟ شعر كيسنجر بالذهول من سذاجة

(*) أي 10% وأكثر. (العيسى).

الفكرة كما ورد في محادثة بتاريخ 23 نوفمبر 1976 مع فورد وسكوكروفت:

كيسنجر: سيكون من المهين لك أن تذهب. سيكون من واجبك إذا ذهبت أن تنجح تمامًا في صدور قرار بعدم زيادة السعر من أوبك، إذا لم ترد أن تُهان. سأشعر بالحرج نفسه ولكن أقل قليلًا لو ذهب نائب الرئيس. إذا كنت حقًّا متحمسًا أن تحاول معهم، يجب أن يذهب النائب... ويمكنك التواصل مع سفراء دول أوبك هنا.

فورد: أريد أن أكون مستعدًا بشكل جيد مع الحقائق عن الاقتصاد والأوضاع السياسية، وما إلى ذلك.

كيسنجر: بخصوص الاقتصاد، ستواجه صعوبة مع الشاه. الأفضل هو النقاش السياسي - أي إنك ستجلدهم لزيادة سعر النفط وإنه لا ينبغي أن يضعوا أنفسهم في هذا الموقف عندما يحتاجون إلى مساعدتنا في الشرق الأوسط. توصية بيرنز بأن تسافر شخصيًا خاطئة وغير مسؤولة.

برنت سكوكروفت: إنه يشعر بالقلق إزاء التأثير على النظام المالي العالمي.

كيسنجر: أنا أيضًا قلق من ذلك، ولكن لا أتفق مع وصفته للعلاج. ربما يمكننا «تأجيل» زيادة الأسعار. سوف

أتصل بالسفير السعودي أولًا [ليحضر اجتماعًا مع الرئيس فورد]. [السفير الإيراني] زاهدي - بالطبع - غبي لأن ردوده لا علاقة لها بما يقال له(75).

دُعي السفير السعودي علي عبد الله علي رضا إلى البيت الأبيض يوم الاثنين 29 نوفمبر 1976. شرح فورد سيناريو الكارثة بحسب تصور بيرنز. وأوضح أن المستفيد الوحيد من الفوضى الاقتصادية سيكون الاتحاد السوفياتي والقوى السياسية الراديكالية [أي اليسارية]. وشرح فورد «لقد عملنا بجد لتصل حكومة معتدلة للسلطة في البرتغال والقضاء على النفوذ الشيوعي». وأضاف «وأي تدهور في الوضع الاقتصادي قد يفسد التقدم الذي أحرزناه. وفي إيطاليا هناك مشاكل اقتصادية خطيرة، وإذا لم تستطع الحكومة الحالية حلها، فسوف يصل الشيوعيون إلى الحكم. بريطانيا تحاول الآن التفاوض للحصول على قرض من صندوق النقد الدولي لتحقيق الاستقرار في عملتها. وفي أستراليا، قامت الحكومة بتخفيض قيمة العملة بتأثير غير مباشر لزيادة سعر النفط»(76). ثم أوضح أنه إذا أرادت المملكة العربية السعودية شراكة استراتيجية مع الولايات المتحدة، فيجب عليها أن تبدأ التصرف كحليف؛ فمع الصداقة تأتي المسؤوليات:

فورد: لقد دافعت بقوة عن المملكة العربية السعودية [في الكونغرس للمصادقة على بيع الأسلحة] ودعمت تقارب

العلاقات بين بلدينا... ولكن من الصعب [أن نعزز تقاربنا] عندما يرى الشعب الأمريكي زيادة في سعر النفط والضرر الذي يسببه ذلك في جميع أنحاء العالم. أريد أن أساعدكم، ولكن عندما يخبرني المستشارون الاقتصاديون من حولي عن تأثير زيادة أسعار النفط السلبي على الاقتصاد العالمي... ولذلك أريد أن نعمل معًا من أجل حل هذه المشكلة... وأنا أعلم أنها مشكلة صعبة للغاية بالنسبة للملك فيصل [بل خالد] وأنا أعلم أنه يعمل من أجل تحقيق هدفنا المشترك، ولكن أرجو أن توصل له قلقي العميق إزاء المشاكل الاقتصادية والسياسية التي نواجهها... لدينا إمكانية لتحقيق انتعاش اقتصادي عالمي كبير الآن، ولكن الوضع هش جدًا في عدد من المجالات، وأخشى أن يتردى نحو كارثة[77].

وقال السفير إن حكومته متفهمة لقلق الرئيس ولكنها مضطرة للتحرك بحذر شديد. وأضاف السفير: «سوف نفعل كل ما بوسعنا من دون تحطيم أوبك». وأكد السفير: «ولكن إذا كنت تستطيع الضغط على الأعضاء الآخرين فسيكون هذا مفيدًا خاصة إذا استطعت من خلال مكتبك إقناع المنتجين الآخرين»، وكانت تلك إشارة واضحة إلى إيران، صاحبة الوزن السياسي الثقيل في أوبك. وشكر السفير الرئيس فورد لمواجهته المعارضة للسعوديين في الكونغرس بخصوص شراء نظام صواريخ مافريك، ولمقاومته بعض المطالب في

الكونغرس لوقف مبيعات الأسلحة إلى السعودية. وأكد أن حكومته تقدر هذه الجهود. **ولكن حكومته أيضًا قلقة من أنشطة إسرائيل في جنوب لبنان: «آمل أن تكبحوا جماح الجار الجنوبي. فمن دون القوات السورية في المنطقة، ستسيطر الميليشيات»**[78].

وقال الرئيس فورد إنه يأمل بالنتيجة نفسها: «نحن نعمل مع الإسرائيليين حول هذه النقطة ويحدوني الأمل في أنه يمكن حل الوضع اللبناني» واختتم الاجتماع بوعد انه سيوصل كلمة طيبة للرئيس المنتخب الجديد كارتر [بخصوص جهود السعودية لمنع رفع سعر النفط]: «سوف أخبره عن أهمية تعاون بلدينا معًا من أجل تحقيق أهدافنا المشتركة»[79]. وفي يوم الجمعة 3 ديسمبر، قال كيسنجر للرئيس إن لديه أخبارًا سارة: الشاه يتواصل. «أعتقد أن الشاه فهم الرسالة. إنه يتحدث عن 10% الآن، لذلك أعتقد أن الزيادة ستكون 7ـ8%». وقال إنه يتفق مع اقتراح فورد بزيارة السفير الإيراني [إلى البيت البيض] للنقاش «على الأقل حتى نؤكد تحفظنا على الزيادة رسميًا»[80]. ولكن اجتماع فورد مع السفير الإيراني أردشير زاهدي، في 7 ديسمبر 1976، جرى بشكل سيئ. كيسنجر، الذي غاب عن كلا الاجتماعين [مع السفير السعودي والإيراني] بصورة غامضة وربما متعمدة، بدا أنه ـ مرة أخرى ـ قد استهان بذكاء الشاه. نص محادثة

فورد - زاهدي، كان حافلًا بعبارات متوترة وكراهية غير مقنعة، كما إنه يكشف عن أن كيسنجر كان في الواقع طلب من الإيرانيين «تأجيل» زيادة أسعار النفط إلى أن تعرف نتائج الانتخابات الرئاسية عام 1976. وأكد زاهدي للرئيس بأن الشاه بالفعل «أجّل» رفع أسعار النفط هذا العام، ولا يمكنه القيام بذلك مرة أخرى:

فورد: هناك إجماع بين مستشاري بلدي أن صحة الاقتصاد العالمي ليست جيدة، وأن أي زيادة في سعر النفط سيكون لها تأثير خطير على الهيكل المالي العالمي.

السفير زاهدي: سوف تكون هناك زيادة. ما النسبة [التي ترونها] معتدلة؟

فورد: إن الطريقة الوحيدة التي يمكننا عبرها حماية الاقتصاد العالمي هي أن لا تكون هناك أي زيادة.

زاهدي: هذا غير ممكن.

فورد: أنا أقول لك حقائق. أي زيادة ستكون خطرة على الاقتصاد العالمي. وعدم الزيادة هي الحل. ثاني أفضل حل سيكون التأجيل. هل هذا ممكن؟

زاهدي: الآن!! هذا شبه مستحيل. لو كنا في أوائل الخريف - عندما كنت وكيسنجر نتمازح حول الأمر - لو

كنت قد طلبت في شهر مارس، لكان من السهل. لكن كيسنجر قال انتظروا إلى ما بعد الانتخابات. أنا أعرف كيف كنت تدافع عن إيران [أثناء الحملة الرئاسية] والشاه يعبر عن امتنانه العميق لذلك. ولكن لا أعتقد أن أي من دول أوبك ستوافق على التأجيل لأن الأمر سيبدو وكأنهم أجبروا على ذلك.

فورد: لهذا السبب طلبت منك أن تأتي في هدوء. لا أريد أي مواجهة، ولهذا فإن هذا الاجتماع خاص. أنت تقول إن التأجيل أو عدم الزيادة غير واردين على الإطلاق... هذا من شأنه أن يكون كارثيًا(81).

انضم المستشار الاقتصادي آلان غرينسبان إلى الاجتماع. وشرح للسفير زاهدي أن زيادات السعر لعام 1973 «كانت مزعزعة للاستقرار [الاقتصادي] جدًّا... وكان من الممكن استيعابها كما فعلنا نظرًا إلى أنه كان هناك «مرونة» إقراض كبيرة لدى كل من المقترضين والمقرضين. ولكن الآن اختفت تلك المرونة. وأصبح الهيكل المالي الدولي رقيقًا وهشًّا. وأضاف غرينسبان، إن «زيادة أخرى كبيرة في أسعار النفط قد تسبب .انهيار ثقة رجال الأعمال والمستثمرين وإضعاف قاتل للنظام المصرفي». وأضاف فورد: «أي زيادة تزيد احتمال حدوث أزمة مالية، وإلى فشل بعض الحكومات، وحتى إلى خطر وقوع أزمة عسكرية» (82). ورد السفير بأن

الوقت متأخر وينبغي توقع زيادة في الأسعار لا تقل عن 10%.

وعاد إلى البيت الأبيض يوم الثلاثاء 14 ديسمبر السفير السعودي المبتهج علي عبد الله علي رضا وهو يحمل أنباءً طيبة(*). مراسم افتتاح اجتماع أوبك في الدوحة سوف تبدأ في غضون ساعات قليلة. لقد أراد إخبار الرئيس أن حكومته ستقف مع أمريكا: السعوديون لن يسمحوا بزيادة سعر النفط بنسبة أكثر من 10%«ونحن نأمل بنسبة 6ـ7%. ولكن بسبب مواقف شركات النفط، فهناك زيادة حتمية بنسبة 5%»[83]. فورد عبر عن امتنانه العميق. ولكن السعوديين ذهبوا إلى أبعد من ذلك وصنعوا أكثر من ما وعدوا. أعلن يماني أن حكومته لا تريد زيادة في الأسعار على الإطلاق لعام 1977. وباستثناء دولة الإمارات العربية المتحدة، تجاهله بقية أعضاء أوبك ووافقوا بالإجماع على زيادة بنسبة 10% في أسعار النفط لشهر يناير 1977. وسيتبع هذا زيادة بنسبة 5% إضافية في منتصف العام، ما يعني زيادة تراكمية بنسبة 15% في أسعار النفط خلال العام المقبل. ولكن صعق يماني الوفود بقوله: «إن المملكة العربية السعودية ستكسر السعر المعروض من منافسيها وتزيد إنتاجها من 8,6 إلى 11,6 مليون برميل يوميًّا» [لخفض السعر رغم أنف الشاه]. **وهكذا أعلن يماني**

(*) طالع المحضر الكامل لهذا الاجتماع في الملحق الرقم 4. (العيسى).

ولأول مرة أن السعودية، أكبر منتج ومصدر للنفط في العالم، وها قد أصبحت أخيرًا زعيمة أوبك الحقيقية [وليس إيران[84]. وكما لاحظ أحد المراقبين الأمريكيين باستحسان: «لقد ذهب يماني إلى اجتماع أوبك ليتحدى إيران»، وكان يفكر بأنه «سوف يثبت للشاه من هي زعيمة منظمة أوبك»[85]. وعلى الأقل في العلن، كان السعوديون يفكرون في ترك انطباع جيد لدى شخص آخر: الرئيس الأمريكي المنتخب الجديد جيمي كارتر. وقال يماني للصحافيين بصراحة وهو يغادر الدوحة: «**إننا نتوقع من الغرب، وخصوصًا الولايات المتحدة، تقدير ما فعلناه**»[86].